الفصل الأول

التنظير للشر !

إنهما من أبرز صقور الإدارة الأمريكية الذين يريدون إعادة صياغة العالم.. بأسنان ديمقراطية حادة!!. أصدرا كتاباً جديداً يتحدثان فيه عن (نهاية الشر).. مع العلم بأن أحدهما هو أحد صناع هذا المصطلح. وخطورة ريتشارد بيرل.. وديفيد فروم أنهما يؤثران فى الإدارة الأمريكية سواء من مواقع الفكر وصياغة السياسات الاستراتيجية.. أم من مواقع السلطة. ويبدو أن كتابهما الجديد هدفه إعطاء دفعة جديدة لاستمرار الحملة العسكرية الأمريكية وتوجيهها نحو أعداء جدد! حتى إن (محور الشر) أصبح مصطلحاً مطاطاً.. يمكن أن يتسع ليشمل الكثيرين! بما فى ذلك فرنسا التى يطالب الكاتبان بوضعها فى خانة الأعداء والمنافسين!

يقول بيرل وفروم: إذا كان العالم قد شهد تحولاً عميقاً خلال العامين الماضيين (بعد سبتمبر ٢٠٠١) فلا يجب إلقاء اللوم على المحافظين الجدد فى أمريكا فقط.. ولكن مسئولية الفشل تقع

على العمل الدبلوماسى أيضا. ويلاحظ الكاتبان أن هناك شريحة كبيرة من الرأى العام الأمريكى وغالبية دول العالم ترى أنه لم تعد هناك حاجة لمحاربة الإرهاب مع مطلع عام ٢٠٠٢. وردً فريق إدارة بوش (لا) بعرض وقائع المشهد الأول: ففى العراق هناك اختبار لمدى جدية أمريكا وقدرتها على الاستمرار فى الحرب ضد الإرهاب.. وأدى أسلوب كلينتون اللطيف إلى بروز وتطور كارثة كوريا الشمالية. أما الأمم المتحدة فقد أصبحت مسرحا مبتذلاً للميلودراما السياسية.. حيث تشاهد الجماهير الغاضبة ذات المشاهد المكررة.. وذات الأداء الكئيب!!

ويواصل (المنظران) حملتهما المنظمة والشرسة فى كل الاتجاهات حتى إنها طالت وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين، وكذلك وكالة المخابرات الأمريكية (CIA).. فهما يتهمان كل تلك الأطراف المسئولة بالفشل فى التوافق مع عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. بمعنى أنهم يرون أن صناع القرار لم يتأثروا كثيراً بهذا الحدث الهائل. وهو ادعاء تكذبه الأحداث.. والحرب ضد الإرهاب.. ومحور الشر الذى ابتكروه ويقاتلون من أجل إزالته وتوسيع نطاقه! وهناك نقطة حيوية يعرض لها الكاتبان فى كتابهما (نهاية الشر) حين يذكران أن الرئيس بوش لم يقم بالرد على أحداث سبتمبر خارج نطاقها الأوسع. بمعنى أن هناك جذوراً أسبق وأشمل للسياسة الأمريكية الحالية وأنها لم

ترتبط بأحداث سبتمبر فقط. ويذكر بيرل وفروم أن بوش تحول من مرشح رئاسى يتعهد بتطبيق نهج أكثر قهراً وهيمنة على العالم.. إلى رئيس يتحدث عن إعادة صياغة العالم فى صورة أمريكية.. بمساعدة صقور مُنَظِّرِى الإدارة الحالية.. وفى مقدمتهم ريتشارد بيرل وديفيد فروم ذاته. ولعل هذا التوجه يثير الكثير من التساؤلات إزاء الدور الذى يقوم به صقور واشنطن ومدى التزامهم بالنهج المتشدد للسياسة الخارجية الأمريكية فى عهد وودرو ويلسون. وفى الوقت الذى يسخر فيه الكاتبان من العالم الإسلامى وتخلف مجتمعاته.. فإنهما يطالبان بإنعاش دور المرأة وحريتها فى هذا العالم حتى تقوم بدور محورى فى صناعة وصياغة سياساته. ويبدو أن صقرىَ واشنطن وصانعىَ الشر لا يريان الواقع ولا يقرآنه جيداً.. لا فى الولايات المتحدة.. ولا فى العالم الإسلامى. فكثير من الدول الإسلامية سبقت الولايات المتحدة ذاتها فى إعطاء دور أكبر وأنشط للمرأة وباكستان وإندونيسيا وبنجلاديش شاهدة على ذلك.. حيث ارتقت فيها المرأة أعلى المناصب التى لم تحصل عليها فى أمريكا ذاتها. ويبدو أنها لن تحصل عليها ما دام هؤلاء الصقور يتحكمون ويحكمون واشنطن. إنهم يدافعون عن المرأة ليس حباً فيها، أو رغبة فى إعطائها حقوقها.. بل رغبة فى استغلالها كإحدى أدوات تحقيق استراتيجيتهم الجديدة. كما أن

تراثنا وثقافتنا وحضارتنا.. بل وواقعنا.. تؤكد احترامنا للمرأة وتقديرنا لدورها.. بعيداً عن المزايدات والأغراض الخبيثة.

صقور واشنطن - خاصة بيرل وفروم - يرون العالم مكاناً خطيراً.. ويطالبون - بيرل وفروم - بتحسين هذا الوضع من خلال التطبيق النشط والحثيث للنفوذ والمبادئ والمثل الأمريكية. بمعنى آخر.. إنهم يريدون ديمقراطية ذات أسنان حادة!! وهم يتجاهلون التقارير التى أصدرتها المنظمات الدولية وكبار المفكرين الذين يرون أن العالم قد أصبح أكثر خطورة بعد أحداث ١١ سبتمبر. بل إن الإرهاب الذى يقودون حملة ضده الآن.. هم صنّاعه الأوائل والأساسيون.. وكانوا يحتضنون ويدعمون أكبر رموزه.. بمن فيهم ابن لادن وصدام حسين!!

الجذور الفكرية

ويرى المراقبون أن كتاب ديفيد فروم وريتشارد بيرل.. إنما هو بيان أو إعلان لبوش على لسان صقرين قاما بصياغة أفكاره وتوجهاته السياسية. إنها ذات العقلية التى تؤمن وتنفذ مخططا استراتيجيا بعيد المدى جرى الإعداد له منذ عقود من خلال مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية الأمريكية.. ثم جاءت لها الفرصة المواتية لتطبيق هذا المخطط على أرض الواقع.

وأحد أبرز محاور هذا المخطط (الشرير) يدعو لتغيير الأنظمة ولو بالقوة. وهنا تجب مناقشة نقطة تغيير الأنظمة بشيء من التروى. حيث إنهما يطبقان معايير متباينة.. وفق حالة كل نظام وعلاقاته الخفية والمعلنة.. ووفق مصالح أمريكا معه.. وأيضاً وفق تقييمهما لموازين القوى الإقليمية والدولية لحظة تغيير النظام ذاته. ففى الوقت الذى يطالبان فيه بعمل عسكرى ضد سوريا.. بفضلان التعاون مع المعارضة الإيرانية لتغيير نظام طهران! وبينما قاموا بالإطاحة بنظام صدام وبعمل عسكرى مباشر وضار ضد هذا البلد العربى المسلم.. يريان أنه من الأفضل فرض حصار على كوريا الشمالية على غرار الحصار المفروض على كوبا. كما أنهما يدعوان إلى إدخال السعودية وفرنسا فى خانة الأعداء.. بعد عقود طويلة من التحالف والمصالح التى ما زالت مستمرة وبقوة معهما. ففرنسا هى المستثمر الثانى فى الولايات المتحدة.. والسعودية - على رغم كل هذه الضجة - هى المصدر الأول للنفط فى العالم.. ولأمريكا!! وهناك علاقات اقتصادية ومالية هائلة بين البلدين.. حتى الآن.

وخطورة آراء هؤلاء الصقور تتزايد من خلال احتفاظهم بقاعدتين أساسيتين داخل إدارة بوش هما: مكتب ديك تشينى نائب الرئيس.. ووزارة الدفاع. وهؤلاء الصقور هم الذين قادوا

الحملة ضد العراق وخططوا لها منذ اليوم الأول لوصولهم إلى السلطة (وهذا ما أكده بول أونيل وزير المالية الأمريكى السابق الذى استبعده بوش من إدارته) وقد كانت البداية فى أفغانستان لمجرد تشتيت الأنظار والتمويه على الأهداف الأساسية للحملة العسكرية متعددة المراحل.

إنهم يسعون إلى إنشاء عراق (علمانى فيدرالى) كمدخل لتقسيمه.. ومحاولة جعله (نموذجاً) يحتذى فى المنطقة.. ليس من حيث الديمقراطية - فهم ليسوا حريصين على الديموقراطية بقدر حرصهم على مصالحهم - ولكن كنموذج للخضوع والهيمنة وبسط النفوذ بعد صياغته - أمريكياً!

ويواصل المنظِّران شطحاتهما فى كتاب (نهاية الشر) مطالبين بتدخل واشنطن لدى الحكومات الأوروبية لتفرض عليها الاختيار بين واشنطن وبين باريس!! ويطالبان بضرورة الحفاظ على استقلالية بريطانيا عن أوروبا.. مع فتح الباب أمام صادرات السلاح البريطانية للأسواق الأمريكية!!

وقد علق أحد كبار الكتاب الأمريكيين وهو المحامى أنتونى زيناتى - على كتاب نهاية الشر.. قائلاً: إن هذا الكتاب يحتوى على تعبيرات سليطة وعنصرية، وفيه تعبيرات معادية للإسلام والمسلمين.. إنه أشبه بكتاب (كفاحى) للنازى الأكبر أدولف هتلر. وخطورة هذا الكتاب أنه صدر عن رجلين، كانا - وما زالا - فى

الإدارة الأمريكية الحالية سواء من خلال مواقع الفكر وصياغة السياسات الاستراتيجية أم من خلال مواقع السلطة السابقة. وهما يؤكدان الخوف العميق من الأجانب وجنون العظمة الذى يغذى السياسة الخارجية والداخلية الأمريكية المعاصرة. وكلا الرجلين مؤثران فى الرئيس بوش.. وهذا أمر مرعب.

ويواصل الكاتب والمحامى الأمريكى نقده لـ بيرل وفروم قائلاً: إن أغلب ما أورده الكاتبان حول القانون السياسى تشوبه الأخطاء، وإذا أوردا الصياغة القانونية بشكل صحيح فإنهما يقومان بالمبالغة فى إطارها ومحتواها. ومما يثير القلق والانزعاج إشارة فروم إلى تسلل الإرهابيين من خلال المهاجرين ونظم الهجرة.. لذا فإنه يقترح (روشتة) تقتضى خضوع الجميع لبطاقة هوية قومية تشمل معلومات بيولوجية.. مثل تحليل الحامض النووى DNA!! ومن خلال خبراتى وتجاربى فى المحاكم الأمريكية - سواء على مستوى المحاكم الفيدرالية أم محاكم ولاية كاليفورنيا - أعتقد أن الدستور الأمريكى يرقد حالياً على فراش الموت. وحتى قبل صدور هذا الكتاب الحافل بالتزييف.. فإن هناك ضغوطاً هائلة تطالب بتجاهل الحقوق الدستورية الأمريكية. ولست أدرى مدى التغيير الذى يمكن أن يحدث فى الولايات المتحدة إذا حدث هجوم إرهابى آخر.. أعتقد أنه سيكون تغييراً غير مسبوق.

ويواصل زينانتى تقييمه لكتاب بيرل وفروم قائلاً: مع الأخذ فى الاعتبار سوء التفسير والمبالغات التى يحتويها الكتاب فإنه يقودنا إلى الاعتقاد بأنه يهدف إلى تحقيق شىء آخر غير إعلام القارئ.. إنه يهدف إلى بث الرعب والشك فى قلوب القراء. ومع الأخذ فى الاعتبار خلفيات وتاريخ الكاتبين.. فإن الناس لسوء الحظ سوف يقبلون محتوى الكتاب دون مناقشة غالباً. وهدف فروم وبيرل إنشاء دولة شبه استبدادية.. وهذا الكتاب جزء من تلك الأجندة.

خفايا بيرل!

وإذا كنا قد تعرضنا للكتاب سريعاً.. فيجب أن نتعرض لأعماق كل من الكاتبين فقد كان بيرل يرأس الهيئة الاستشارية للدفاع بالبنتاجون.. ثم أصبح عضوا فيها ثم استقال منها أخيراً. كما أنه عضو بالمعهد الأمريكى American Enterprise وهو معهد يمينى شهير وأحد مراكز صناعة الفكر وصياغة السياسات الأمريكية المتشددة على مدى عقود. كما أنه عمل فى مجالات عديدة بما فيها الأمن القومى والبنتاجون وفى أوروبا والشرق الأوسط وروسيا. وهو عضو مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية، ورئيس سابق لشركة إعلامية إعلانية. ومدير سابق لصحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية

التى تصدر باللغة الإنجليزية.. وهذه ليست الصلة الوحيدة له بإسرائيل!! كما تولى منصب مساعد وزير الدفاع لسياسات الأمن القومى من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٧. وكان أحد معاونى السناتور هنرى جاكسون (١٩٦٩- ١٩٨٠).

ولعل أهم المراكز التى كان يشغلها - على رغم علاقاته العميقة والوطيدة مع صقور الإدارة الحالية - هو عضويته بالهيئة الاستشارية للدفاع فى البنتاجون.. وهى تضم حوالى ٣٠ عضواً من كبار المسئولين السابقين فى الأمن القومى والبنتاجون والمخابرات. ويلتقى أعضاؤها عدة مرات كل عام فى وزارة الدفاع الأمريكية لمراجعة وتقييم السياسات الدفاعية للولايات المتحدة.

وريتشارد بيرل يساهم فى إدارة شركة Trireme Partner التى تم إنشاؤها فى نوفمبر ٢٠٠١ (أى بعد أحداث ١١ سبتمبر!) هذه الشركة تقوم بالاستثمار فى المجالات التكنولوجية والسلع والخدمات المتعلقة بالأمن الداخلى والدفاع. ووفقاً لخطاب أحد مسئولى الشركة.. فإنها توقعت زيادة الطلب على منتجاتها وخدماتها الأمنية والدفاعية مع زيادة الخوف من الإرهاب نتيجة تصاعد واستمرار الحملة ضده. وإن هذا الطلب سوف يشمل أغلب دول العالم.. خاصة الولايات المتحدة وأوروبا. ويؤكد

الخطاب الصلات التى تربط الشركة بالإدارة الأمريكية بشكل قاطع.. فأعضاء إدارتها من بينهم: ريتشارد بيرل.. أحد الصقور البارزين.. وهنرى كيسينجر وزير الخارجية الأمريكى اليهودى الأسبق وأحد رعاة هؤلاء الصقور من وراء الكواليس.. ومنذ زمن بعيد!. والعضو الثالث هو: جيرالد هيلمان أحد رجال الأعمال المقربين من بيرل الذى يتولى إدارة ومعالجة شئون الشركة من مكتب نيويورك.

هنا يجب الالتفات إلى نقطة فى منتهى الخطورة.. تتمثل فى أن رعاة وصُنّاع الحملة ضد الإرهاب أصبحوا أصحاب مصالح اقتصادية واستثمارية مباشرة تنتفع وتستفيد من استمرارها. فقد تأسست تلك الشركة سريعا.. بعد ١١ سبتمبر بشهرين تقريباً.. بهدف الاستثمار الاقتصادى والمالى من الطلب المتوقع والمتزايد على الخدمات والمنتجات الأمنية والدفاعية.. وكما لو كان الأمر مخططا ومبرمجاً مسبقاً! وليس مجرد استثمار أو شركة عادية!

وقد عمل ريتشارد بيرل كمستشار للسياسة الخارجية خلال حملة بوش لانتخابات الرئاسة.. وفى منتصف عام ٢٠٠١ عرض عليه دونالد رامسفيلد رئاسة الهيئة الاستشارية للدفاع بالبنتاجون (هذه الهيئة التى تحيطها السرية الكثيفة والغموض

والتى أسسها البنتاجون عام ١٩٨٥). وهى لا تقدم المشورة فى مجال السياسات الاستراتيجية فقط.. بل فى قضايا أخرى مثل مخصصات ومشتريات السلاح.. وخلال رئاسته لتلك الهيئة تم اعتبار بيرل موظفاً يخضع لميثاق السلوك الفيدرالى.. وهذا الميثاق يمنعه من المشاركة فى أى عمل رسمى يحصل منه على مصلحة مالية. ويشرح أحد المدعين الأمريكيين السابقين هذه النقطة قائلاً: إن القواعد العامة لقانون السلوك الفيدرالى تشترط عدم الاستفادة من المنصب الفيدرالى بأية طريقة.

والهيئات الاستشارية.. مثل الهيئة الاستشارية لسياسات الدفاع بالبنتاجون تحصل على خبرات الشخصيات البارزة خارج الإدارة وتستطلع آراءهم حول القضايا الاستراتيجية فى إطار من السرية والكتمان الشديدين. وغالباً ما يرتبط هؤلاء بصناعة الدفاع.. لذا تحدث نزاعات ومشاكل لا يمكن تجنبها. وأغلب أعضاء الهيئة الاستشارية للدفاع نشطون فى مجالس المال والأعمال. وقد أكد أربعة من أعضائها انخراط بيرل فى أنشطة شركة Trireme. ولم يكن هذا هو ارتباطه أو عمله الوحيد الذى يجمع بين رجال السياسة ورجال الأعمال! فقد سبق له العمل بشركة استشارات عسكرية.

وتناولت صحيفة نيويورك تايمز عام ١٩٨٢ قضية لـ ريتشارد بيرل.. ونشرت تحقيقا يؤكد قيام بيرل بالتوصية بأن يقوم الجيش الأمريكى بشراء أسلحة من شركة إسرائيلية.. كان بيرل قد تلقى من أصحابها ٥٠ ألف دولار قبل ذلك بعامين. واعترف بيرل فيما بعد بقبوله هذه الأموال من الشركة الإسرائيلية.. ولكنه لم يعترف بوجود أى خطأ فى هذا الأمر! لأنه حصل على المال قبل توليه منصبه بوزارة الدفاع. والأغرب من هذا كله.. أنه لم يتم توجيه أى اتهام رسمى لريتشارد بيرل نتيجة دوره فى هذه القضية!

وقد خدم بيرل فى البنتاجون.. كما مارس نفوذه داخل جماعات الضغط ومجال الأعمال.. ومن بينها عمله كمدير بشركة تقوم بمشاريع للحكومة الفيدرالية.. وهى شركة بريطانية فازت بعقد فيدرالى كبير فى وزارة الأمن الداخلى التى تم تشكيلها مؤخراً! وقال بيرل: إن الصفقة تم إبرامها فى إطار مناقصة مفتوحة!

❑❑❑